**الجامعة : المستنصرية**

**الكلية : الاداب**

**القسم : الانثروبولوجيا والاجتماع**

**اسم التدريسي : هدى كريم مطلك**

**المادة مقدم المدخل الى الانثروبولوجيا العامة /**

**المحاضرة الثانية**

**م / نشاه الانثروبولوجيا وتطورها منذ القرن الثامن عشر حتى الوقت الحضر :**

يمكننا ان نعتبر الانثروبولوجيا علما حديثا يقرب عمره من قرن وربع ، كما نستطيع بعين الوقت ، ان نعتبرها من اقدم علوم البشر فهي **علم حديث** لان الجامعات لم تبدا بتدريس الانثروبولوجيا الا حديثا جدا فلقد عين اول استاذ لها في جامعة اوكسفورد ، وهو السير ادور تايلور \* عام 1884، وفي جامعة كمبرج ،وهو الاستاذ ( هادن ) في عام 1900 ، وفي جامعة لفربول ، هو ( السر جمس فريزر ) في عام 1907 . وعين اول استاذ لها في جامعة لندن في عام 1908 ، وفي الجامعات الامريكية في عام 1886 .

ولان الانثروبولوجيا تعنى بدراسة النظريات التي تتعلق بطبيعة المجتمعات البشرية ، فاننا نستطيع ان نعتبرها ، من جهة اخرى من **اقدم العلوم** . اذ هي بدات مع اقدم تاملا الانسان حول تلك الموضوعات . فلقد قالوا مثلا ان **المؤرخ الاغريقي ( هيرودوتس ) ابو الانثروبولوجيا كما هو ابو التاريخ ،** لانه وصف لنا باسهاب التكوين الجسمي لاقوام قديمة كـ ( السيشيين ) وقدماء المصريين وغيرهم من الشعوب القديمه ، وصور اخلاقهم وعاداتهم . كما كتب المؤرخ الروماني ( تاكيتس ) دراسته المشهورة عن القبائل الجرمانية . حتى البابليون ، قبل هيرودوتس بزمن طويل جمعوا في متاحف خاصة بعض ماتركه السومريون من ادوات ومخلفات .

ولقد ادت الرحلات والاستكشافات التي بدات في القرن الخامس عشر الى اثارة الاهتمام بدراسة الشعوب البدائية المختلفة التي صارت اخبارها تصل اوربا نباعا . واستمرت هذه الاخبار تتزايد كلما اتسعت الرحلات والاستكشافات ، وكلما ازداد اتصال الاوربيين بتلك الشعوب العديدة التي تقطن المناطق الشاسعة من العالم ، الذي كان جله انذاك مجهولا غير مستكشف . ولكن اغلب اولئك الرحالة والمغامرين كانوا جهلة غير مدربين تدريبا علميا من جهة ، كما انهم كانوا ينظرون لتلك الشعوب بكثير من التعصب الذي عرفت به عقلية الاوربيين المسيحين في تلك الفترة التي سبقت عصر النهضة . **فتميزت تلك الفترة ، نتيجة لذلك الجهل والتعصب بشيوع افكار وانطباعات خاطئة عن الشعوب البدائية** **، اذ** كانت توصف بانها بل دين ، ولا نظام اجتماعي ، وانها تعيش بشكل لايميزها عن الحيوانات الا استعمالها اللغات ، وانها لا تعرف الصبظ الاجتماعي ولا القانون ، وتعيش في شيوعية جنسية واقتصادية ، وكان الراي الشائع عن الشعوب البدائية في القرنين السابع عشر والثامن عشر بان حياتها كانت ( حياة منعزله ، فقيرة ، قذرة ، وحشية ، قاسية ، وقصيرة ) .

**على اننا نستطيع ان نعتبر القرن الثامن عشر نقطة بدء مناسبة للانثروبولوجيا ،** نشهدبعدها ظهور العناصر المكونة لها العلم . فاراء مونتسكيو في كتابه الشهير ( روح القوانين ) عن المجتمع واسسه وطبيعته وكتابات ( سان سيمون ) وادعاؤه وجود علم للمجتمع ، **واراء ( ديفد هيوم ) و( ادم سمث )** ونظرتهما الى المجتمعات باعتبارها تتكون من انساق طبيعية واعتقادهما بالتطور غير المحدود ، وبوجود قوانين لذلك التطور ، كل تلك التاملات والاراء حوت بل شك البذرات الصالحة والمكونات الاساسية التي نمت في القرن التاسع عشر ، فكونت المدارس الانثروبولوجية الكبيرة . وكانت كافة اراء وكتابات تلك النخبة من الفلاسفة تقوم على التاملات وعلى الاحكام التي توصلوا اليها من الاستنتاجات العقلية والتبريرات المنطقية . فبرغم تاكيدهم على استعمال الحقائق الملموسة في استنباط القواعد , فانهم كانوا يلجاون الى العكس ، اعني الى استعمال الحقائق لاكمادة ولكن كواسطة لاثبات صحة الاستنتاجات التي توصلوا اليها عن طريق التامل والتفكير الفلسفي .

وبعد منتصف القرن التاسع عشر بدات امهات الكتب القديمة في الانثروبولوجيا بالظهور في اوربا وامريكا . وكان لبرز تلك الكتب كتاب ( السر هنري مين ) القانون القديم في 1861 وكتابه عن المجتمعات القروية في الشرق والغرب سنة 1871 ، وكتاب ( باخوفن ) عن حق الام سنة 1816، وكتاب ( فوستل دو كولانج ) عن المدينة القديمة عام 1864 وكتاب ( ماكلينان ) عن الزواج البدائي في 1865 وكتاب ( السر ادوار تايلور المسمى ( ابحاث في التاريخ القديم للجنس البشري ) في 1865 وكتابه الاخر عن الحضارة البدائية عام 1871 ، ثم كتاب (لوس موركن عن انساق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الانسانية عام 1870 .

كما ظهرت مدرستان كبيرتان من مدارس هذا العلم ، هما مدرسة القانون المقارن والمدرسة التطورية . فاناد رجال المدرسة الاولى الانثروبولوجيا كثيرا حين انصرفوا الى دراسة القانون المقارن ، وحين اهتموا بصوره خاصة بالقانون القديم وقوانين الشعوب البدائية . كما تاثر رجال المدرسة الثانية بنظريات ( لامارك ) و ( دارون ) في التطور الحياتي فاقاموا نظرياتهم في التطور الاجتماعي على عين الاسس .

ولو القينا نظرة على ما حققه رجال القرن التاسع عشر لرينا ان الدراسة المنظمة للنظم الاجتماعية ، كالعائلة والزواج والدين ، تظهر لاول مرة في تاريخ هذا العلم . فصار العلماء ينظرون الى المجتمع باعتباره موضوع دراسة خاصة يجب ان تتخلص نهائيا من التاملات والتفكير الفلسفي . كما ان الطريقة التي اوجدها رجال مدرسة ( القانون المقارن ) ظهرت ونمت بشكل واضح ، خاصة في موضوع العائلة و الدين فادت بالدراسات والبحوث ان تتسم بالنقد والتمحيص . وكان اللون العام الذي صبغ الدراسات التي قام بها اؤلئك الرجال عامة هو محاولة بناء التاريخ القديم للانسان الاول عن طريق التاريخ التخميني او الظني .

وفي مطلع القرن العشرين برزت في الانثروبولوجيا اسماء ضخمة مثل السر جيمس فريزر واميل دور كايم و راد كلف بروان ومالينوفسكي واليوت سمث وبيري و رفرز . كما ظهرت مدارس انثروبولوجية هامة مثل مدرسة الانشار الحضاري والمدرسة الوظيفية وكلاهما هاجمتا ودحضتا المدرسة التطورية . هذا الى جانب المدرسة البيئية , وهي مدرسة قديمة مستمرة الوجود.

فقد ادعى رجال ( مدرسة الانتشار الحضاري ) ان الحضارة تستعار من مجتمع لاخر ، ولايمكن ان تظهر العناصر الحضارية باشكال متشابهة في مجتمعات مختلفة . اما المدرسة الوظيفية فظهرت الى المجتمع باعتباره مكونا من نظم وافراد تلربطها ببعضها البعض العلاقات الاجتماعية التي يطلقون عليها مجتمعة ( البناء الاجتماعي ) اما ( البيئيون ) فانهم يرون ان البيئة الطبيعية ، وبخاصة العوامل المناخية ، تخلق وتحدد شكل الحضارة ، كما انها المسؤولة عن المظهر الخارجي للافراد .

وبين منتصف القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر ازدادت المعلومات عن الشعوب البدائية زيادة كبيرة نتيجة لتوسيع وامتداد حركة استيطان الاوربين في الامريكتين واستعمار الدول الاوربية لعدد كبير من الاقطار والبلدان في افريقيا واسيا واسترالياوغيرها من ارجاء العالم . وازداد تبعا لذلك اهتمام العلماء في امريكا واوربا بتلك الشعوب البدائية . وكان طبيعيا ان تثير تلك الشعوب فضول كثير من رجال التبشير والاداريين الذين كانت طبيعة اعمالهم تقتضي اقامة طويلة بين تلك الشعوب واتصالا مباشرا بها . وكان المبشرون ورجال الادراة ذوي ثقافة عالية في الغالب فاستطاعوا بفضل تلك الثقافة وبحكم اقامتهم الطويلة واتصالهم الوثيق بتلك الشعوب ان يتحفوا العالم بدراسات ، رغم انها لم تكن علمية ، فانها حوت الكثير من المعلومات الدقيقة المفيدة ، فكانت خطوة فعالة في تقدم الدراسات الانثروبولوجية اذا قست بسابقتها من اخبار الرحالة والتجار والمغامرين .

والفى العلماء النظريون في انجلترا وامريكا مادة خصبة في كتابات اؤلئك الهواة من المبشرين والاداريين فانكبوا عليها يدرسونها ويحاولون الاستفادة منها . فاثارت فيهم رغبة جامحة لزيادة البحث والاستقصاء . فوجدبعضهم مادة صالحة لخلق نظريات جديدة ، ووجد فيها اخرون دافعا لاعادة النظر في نظريات قديمة . ولكن الاهم من هذا كله ان تلك الدراسات اثارت في اولئك العلماء رغبة في زيادة الاتصال بتلك الشعوب البدائية التي تعج اخبارها بكل طريف وغريب .

وكان اول من تبادر لاذهان اؤلئك العلماء ان يتصلوا بالمبشرين والقناصل والادارين ممن تفرض عليهم الاقامة بين الشعوب البدائية ليسالوهم اسئلة مسهبة عن حقائق معينة ، اما لاتمام النقص وسد الفجوات التي تركها الكتاب السابقون فيما كتبوا عن تلك الشعوب ، او لاستقصاء وبحث موضوعات جديدة . وكان السباق في هذا الميدان هو ( لوسم وركن ) ، اذ نظم قائمة مفصلة حوت اسئلة عديدة تخص نظام القرابة ونعوتها وتبن علاقة ذلك كله بالبناء الاجتماعي . وفعل شيا شبيها بذلك ( السر جيمس فريزر ) . ثم انتشرت هذه الحركة فصار العلماء يقيمون علاقات مراسلة متصلة مع بعض المثقفين الذين لهم اتصال بالشعوب البدائية لغرض تزويدهم بمعلومات عنها .

ثم ظهرت جليا الافادة ترجى من الاعتماد على مثل تلك الدراسات الي يقوم بها رجال غير مدربين . وما دام الامر يقتضي ان يجمع المعلومات شخص ويدرسها ويستنبط منها القواعد شخص اخر ، وان كان يراد للدراسات الانثروبولوجية التقدم ، فلا بد ان يجتمع الشخصان ، جامع المعلومات ودراستها في شخص واحد ، وان يذهب العلماء انفسهم الى ميادين الدراسة .

فنظمت اول الامر بعثات علمية ففي 1884 ارسل الاتحاد البريطاني لتقدم العلوم بعثة ضمت ( السر ادور تايلور ) لدراسة قبائل الهنود الحمر القانطة في الشمال الغربي من كندا ونظم الاستاذ ( فريز بوس ) وترس بين عامي 1897 – 1902 بعثة لبحث الاتصال بين سايبيريا وامريكا الشمالية . كما نظمت جامعة كمبرج بعثة ثالثة الى منظمة مضيق توريس ، ضمت علماء من مختلف ميادين التخصص وقامت بين عامي 1898 – 1899 بدراسات هامة هناك .

ادت تلك البعثات العلمية الى ظهور ( الدراسات الميدانية ) كاسلوب في الدراسات الانثروبولوجية . وحدث هذا بعين الوقت الذي ازدهرت فية اكبر المدارس الانثروبولوجية الحديثة واوسعها ، وهي ( المدرسة الوظيفية ) فركز هذا وذاك جهود العلماء في الشعوب البدائية . فاصبحت المدرسة الوظيفية والدراسة الميدانية والتركيز على دراسة الشعوب البدائية من ابرز ميزات الانثروبولوجيا في وقتنا الحاضر ، وبخاصة في بريطانيا .

ان الذي اوجد ( الدراسة الميدانية ) بمفهومها الحديث وحدد غاياتها ووضع اسسها واوضح اساليبها كطريقة حديثة في الدراسات الانثروبولوجية هو الاستاذ مالينوفسكي ، فلقد درس هو نفسه سكان جزر ( التروبرياند ) بعد ان قام بينهم اكثر من اربع سنوات فكان من اوائل الدراسين الانثروبولوجين الذين اقاموا بين الشعب الذي درسوه مدة طويلة ، كما كان اول دارس ميداني شعبا بدائيا بعد ان يتعلم لغته . واثناء اقامته بين سكان ( جزر التروبرياند ) وضع ( مالينوفسكي ) الاسس العلمية الدقيقة للدراسة الميدانية .

المحاضرة الثالثة ستكون حول استكمال لهذه المحاضرة حول الاهتمام الانثروبولوجين الاوائل بمظاهر الحياة البدائية .

المصادر

* \* د. محمد علي محمد : دراسات تمهيدية في علم الانسان ، الاسكندرية ، 1974 ، ص 1-4 .
* \*\* د. شاكر مصطفى سليم : المدخل الى الانثروبولوجيا ، مصدر سابق ، ص 7-13 .